بتيل

...

(صفحة خاصة بالناشر)

إيمان سمير علام

بتيل

رواية

الطبعة 2 / 2019

إهداء

...

...

...

طلب إضافة

على غير عادة منها قامت بإرسال طلب إضافة له وهي المتحفظة التي في الغالب –لا تضيف غرباء عنها– لا تضيف رجالًا خارج نطاق أسرتها وعائلتها وعملها واهتمامها، فلم تكن من النسوة اللائي يلهثن وراء الإضافات الذكورية، اللهم إضافة من يضيفون لفكرها جديدًا ولثقافتها ثقافةً.

لم تكن تضيف سوى الرجال؛ وليس أي رجال أيضًا في زمن كثر فيه الذكور وقل فيه الرجال حقًّا، فقد كانت متمسكةً بقيمها في زمن كثرت فيه الأقنعة والنفاق والكذب والخداع والظهور في ثياب الواعظين على الصفحات الإلكترونية في حين أن غُرف الدردشة

ووراء أبواب الهواتف المحمولة تقبع وجوه غبرة ترهقها قترة، في غيّ وفجور واختلاط آثم غير مأمون، ووراء الآهات والأنات على الصفحة الرئيسية ضحكات مختلسة في خاص الحسابات الشخصية وتجاوزات وكأن الله لا يراهم، ونسوا أن الله عليم بما تخفيه الأنفس وتحمله الصدور، وليس فقط ما يحدث خلف شاشات الأجهزة الذكية.

منذ إضافة (ليث) وهي تلمس تغيرًا جذريًّا وليس ظاهريًّا لديها، فباتت تبحث عن كل ما يكتب أو يُعلق به في شغف وفضول غير معهود منها، وكأنها طفل صغير يتابع معلمه في اهتمام؛ ولكن المعلم هنا لم يكن معلمًا، بدأت تدخل غرفة الدردشة، تلك الغرفة التي طالما كان ضوءُها مُغلَقًا وقد جعلتها مُحرَّمةً على الجميع سوى أقرب المقربين من صديقاتها وأقاربها في حدود ضيقة جدًّا.

كانت تسأم تلك الثرثرات الخاوية بسرعة، وتمل منها وكثيرًا ما كانت تكتب (لا للدردشة)، (لا للتعارف ع الخاص)، (الحديث ع الخاص لا يكون إلا لضرورة كضرورة أكل الميتة)... إلخ. ها هي الآن تقرع باب غرفة محادثته في أدب جم وعلى استحياء.

– السلام عليكم أخي، آسفة جدًّا للحديث معك على الخاص.

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، حسنًا، خيرًا أختي،

بماذا يمكنني أن أساعدك؟

– كنت أود مناقشتك في قضية الأمة؛ فأنا أتابع ما تنشره وقد اعترضني أحد منشوراتك وأنت تتحدث فيه عن مصر بامتعاض واستهجان، هل يمكنني أن أوضح الأمر لك؟ فإن الحقيقة لم تصل إليك كاملةً.

– آه؛ بخصوص ما حدث في رابعة؟

– نعم أخي.

– تفضلي.

– أخي، القضية أكبر من رابعة والتحرير وسيناء، القضية باتت تنازعًا على مناصب راح ضحيتها خيرة شباب بلدنا وهم يظنون أنهم يحسنون صنعًا.

– وضحي أكثر من فضلك.

– أقصد: ليس بالقتل ولا بالتحريق ولا حتى بالمظاهرات نصلح الفساد أخي الكريم، فالبندقية صُنِعت للدفاع أمام عدو، ليس أمام أخ الوطن والدين.

– ولكن من كانوا برابعة وغيرها هم من قُتِلوا وزُجَّ بالناجي منهم في السجون!

– نعم، ولكن هل كنت أنت أو أنا في رابعة لنقول من بدأ بالقتال؟ هل نستطيع أن نجزم بذلك؟ وهل فعلًا كل من كان في رابعة أبرياء؟ وإن كان فعلًا وأنا أقول إن معظم من كان في رابعة أبرياء، وإن رابعة كانت هي والنهضة مجزرةً ومذبحةً لن يغفرها التاريخ أبدًا للمتسبب فيها. لكن، هل غيّر موت شبابنا وحرق أطفالنا ونسائنا من واقع الفساد؟

– لكن دماء الشهداء هي ما يسطر طريقًا لحرية الأبناء.

– نعم، ولكن عن أي حرية تتحدث؟ هل قتل السادات حقق حريةً، وجِيء بعده بالأفضل منه؟ هل ذبح صدام يوم عيدنا الأضحى حقق الرخاء للأشقاء العراقيين واستتباب الأمن لهم؟ هل إهلاك القذافي أنهى الجهل والأمية والتناحر القبلي في ليبيا؟ وهل عزل مرسي حقق العدل والمساواة؟ وهل الصدام مع بشار أو حاكم اليمن حقق الاستقرار لأهل السُنّة؟

ساد صمت قليل، ليأتي بعده رده:

– لا، لم يحدث.

فابتسمت من وراء شاشة حاسوبها المحمول وكأنها حققت نوعًا من الانتصار، ما لبث أن تطاير حينما جاءها رده مقتضبًا:

– **الله يفرجها أختي.**

شعرت هي مع هذا الرد أنه يود أنه ينهي حديثه معها، فعبس وجهها وتولت عن الحاسوب في حزن يمازجه ارتياح غريب، لم تعهد هذا التناقض الشعوري من قبل.

أسندت ظهرها على وسادتها وأمسكت بيدها روايتها المُفضلة (غادة اليابان) والتي طالما قرأتها مرارًا وتكرارًا حتى حفظت سطورها، ثم تنهدت وسرحت بخيالها لتسأل نفسها عنه في حيرة يشوبها حزن دفين لم يكن يعلم بحالها سوى خالقها.

«هل هو متزوج؟ وهل يُفكر فيها مثلما تُفكر فيه؟ هو لا يترك مجالًا إلا ويُبدي على العام وفي المجموعة الثقافية إعجابًا بما تنشره هي، ولكن هل هذا يكفي لتحكم بأنه يحبها؟ وهل هو شاب أم عجوز بلغ من الكِبر عتيًّا، فصورته الشخصية على مواقع التواصل الاجتماعي (فيسبوك) ليست سوى صورة رمزية تعبر عن أن العزة في الإسلام، ولم يكن ينشر أي صورة له، وهل بالفعل الشام موطنه؟ أم بلد آخر وهو فقط يناضل عنه بأزرار حاسوبه التي لا تقل في هذا العصر عن زناد البنادق وبارود المدافع، فالكلمة تنتقل بسرعة البرق لتصل الملايين في نفس الوقت، فتصيب قلوبهم وتغذي عقولهم وتحمس أرواحهم.»

حيرة وحزن

حتى لو كان (ليث) يُفكر فيها كما تفكر هي فيه، فهل يقبل مثله بأنثى لا تُثمر؟ فما زالت تلك الكسرة التي تسبب فيها طليقها –كلعنة تلاحقها– حين تركها في غير شفقة ولا رحمة بعد أن ساندته بروحها وأجمل سنوات عمرها وميراثها ليقف على قدميه، فما كان منه إلا أن طلقها، وإذا كان عُمر المرأة رقبةً فالطلاق هو السيف الذي يمكن أن ينحر تلك الرقبة.

لكن الطلاق لم يكن هو الذي تسبب في كسر (بتيل)، وإنما ما رماها به طليقها قبيل طلاقها هو ما كان سببًا في تهشم نفسها وتفتت روحها وبعثرة ما تبقى لديها من مشاعر؛ وذلك حين رماها

بأسنة كلماته والتي خرجت من قلب كالحجارة بل هو أشد قسوةً وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار، قال لها:

– أُود أن أُلقح شجرةً مثمرةً، أما أنتِ فلم تنجبي أُنملةً، وأنا رجل ذو أموال وجاه وأريد وريثًا لي، يحمل اسمي ويرثني.

فقالت له في حزنٍ يمازجه شموخ وعزة نفس بنبرة فيها حزن لكنها تحمل في طياتها الإباء:

– ولكنهم أيضًا أجمعوا على أنه لا يوجد سبب محدد لعدم إنجابي، وقد يشاء الله في أي لحظة أن أنجب.

باغتها (فيصل):

– نعم، ولكن قد مرت معك سبع سنوات عجاف ولم يحمل رحمك مني بنان سبابة حتى، ولم أعد أحتمل، فأنت أرض بور وحرام علي سُقياها.

مسكين هذا، غاب عن وعيه المريض أنها كانت سببًا في كل ما آل إليه من غنى وترف وجاه، تناسى تضحياتها وغفل عن حبها النقي، راح يبحث ويلهث وراء سراب، ونسي في أثناء رحلته لجمع الأموال أن هناك أشياء لا تُشْتَرى بالمال.

ما قيمة المال وأنت تفتقد صدرًا حانيًا تستوطنه، وكتفًا حمولًا تتوسده وقلبًا دافئًا بالحب تذهب إليه خماصًا فتروح من عناقه

بطانًا بالأمان والاحتواء ومرتويًا بالحب، فسبحان مُغير الأحوال من حالٍ إلى حال.

قد فعلها (نابليون بونابرت) من قبل: حين ضحى المُغفَّل بحبه الحقيقي لزوجته الجميلة (جوزفين) التي تدلت في حبه وغالت في غيرتها عليه، لكنها لم تكن تنجب، وبونابرت كان يريد من يرث عرشه، بعد أن أخذته عزة الانتصارات بالإثم؛ فظن أنه ملك الأرض بمن عليها، ونسي أن الدنيا دنيا من الدنو والحقارة؛ أن تُعطيك كل شيء إلا وأخذت منك ما هو أثمن منه.

وهكذا طلق نابليون زوجته (جوزفين)، وأجمع المؤرخون على وصف قراره بالقسوة، وتزوج من الأميرة (ماري لويز) ابنة امبراطور النمسا بعد أن أنزل بجيوش بلادها الهزيمة، وبكبرياء أسرتها التي أرغمها على التضحية بالأميرة الجميلة بعد ضربات قاسمة، وتزوج (ماري لويز) وأنجبت بالفعل لزوجها طفلًا.

فرح به (بونابرت) ومنحه لقب (ملك روما)، لكنه لم يهنأ بميلاد وليده طويلًا ولا حتى بزواجه؛ فلقد لاحظ العرّافون أن طلاقه (الجوزفين) وزواجه من (ماري لويز) كان بدايةً لتخلي الحظ السعيد عنه، خاصةً وأنه قد توافق مع قراره الآخر الذي هز العالم النصراني في ذلك الحين بخلع البابا (بيوس التاسع) ونفيه من روما.

أمضى نابليون مُعظم أيامه بعد الزواج السعيد في معارك

خاسرة، وتوقفت الانتصارات، وبدأت الهزائم حتى اضطر للاستسلام لجيوش ملوك أوربا والتنازل عن العرش والخروج منفيًّا إلى جزيرة (ألبا).

أما الامبراطورة الجميلة (ماري لويز) فقد رفضت أن تصحبه إلى منفاه، وأما وريث عرشه فلم يطل به العمر ومات في سن مبكرة بمرض غامض، ولم تزد الفترة ما بين ميلاد الوريث -الذي ضحى أبوه بزوجته الأولى لكي ينجبه- وما بين هزيمة (نابليون) وانكساره عن عامين وبضعة أسابيع.

استحضرت (بتيل) تلك القصة وغيرها مما قرأته في كتاب المُبدع (عبد الوهاب مطاوع): (وقت للسعادة ووقت للبكاء) فكفكفت دمعها بأطراف أناملها الرقيقتين، وهي تبتسم في حزن وهي تستعيد بدايتها المتشابهة قليلًا حينما تزوجت بـ(فيصل) وهو صفر اليدين فقيرًا لا أصل له، وراهنت عليه وصمت أذنيها عن تحذيرات والدها -رحمة الله عليه- الذي تُوُفِّي ومن بعده تُوُفِّيَت أمها كمدًا على حظ ابنتهما، فتركاها لوحدتها.

وقد كان اسم عائلتها وعلاقاتها الاجتماعية والسياسية الراقية جواز سفرٍ لنجاح صفقاته التجارية وتسهيلها حتى أصبح من الأثرياء، من صفر على الشمال ليس له قيمة ولا وزن إلى أكثر من ستة أصفار على اليمين ويزيد في البنوك، إضافةً إلى العقارات

والأفدنة والسيارات التي لولا فضل الله ثم وقوف (بتيل) ما كان له أن يحقق من ذلك أي شيء.

لقد أعطته ميراثها كاملًا ليتاجر به، غير ما سهلت له بعلاقاتها كل عسير وذللت له الصعاب ومهدت له السبل. فما كان منه إلا أن قطع اليد التي مُدَّت له، وكسر القلب الذي احتواه وآواه، وهوى بها حين وقف هو...

كان من الممكن أن تنفجر في وجهه وتغضب، وتقلب الدنيا فوق رأسه بمكالمة واحدة لأحد أقاربها، فتهدم المعبد الذي شيدته هي على رأس من بنته له، ولكنها –وهو يعلم ذلك– أرقى وأنبل من أن تخرب ما عمرته بأيديها أو بأيدي غيرها.

تبسمت في شموخ وأخيرًا جاءه ردها في اقتضاب:

– **طلقني.**

لم يكن يعرف؛ هل يفرح لقرارها أم يحزن لفراقها، فقد كانت –ويشهد– نِعم الزوجة له، رافقته طيلة سبع سنوات دون كلل ولا سأم تشاطره حزنه قبل فرحه، وتربت على كتفه ما أصابه من هم وتوسده كتفها ما أصابه من غم، وتحتضنه وتضمه لصدرها ما حل به من حزن، وتتعلق برقبته كطفلة صغيرة تنهال على وجناته بالقُبلات ما إن يحرز هدفًا في مرمى النجاح، فتلمع عيناها فرحًا بكل

خطوة يصعدها في سلم المجد، وكأنها تراقب صغيرها الذي يمشي لأول مرة.

أنهيا إجراءات الطلاق في هدوء كما طلبت هي، وترك لها شقتها تؤنسها فيها وحدتها، والتي على سعة مساحتها ضاقت بها الآن. الآن هي وحيدة شريدة تغمرها دموع مريرة، تلفها ذكريات تكاد تعصف باتزانها عصفًا، تشعر وكأنها ورقة خريف هشّة، يقسمها الخوف حينًا، فلا تجد من يحتضنها فتحتضن دُميتها كطفلة بريئة تاهت من يد أمها توًّا في زحام شديد.

عندما تحتاج للحديث لا تجد سوى هاتفها الذكي أو حاسوبها المحمول لتدخل مسرعةً للعالم الافتراضي لتحلق كعصفورة تغرد في سماء الشاشة الزرقاء، فتتنسم الحياة قليلًا من بعد اختناق، تنشر، تُعلق، تُجامل، تُحاور، تُصادق، تُفارق، تفرح وأحيانًا تهبط كسيرة الجناح للواقع مرةً أخرى.

وجدت في العالم الافتراضي على الشبكة العنكبوتية عائلةً لم تكن على أرض واقعها، وتبنت عليها مثلما تبنت طالباتها، فالأخيرات كن همها وشغلها الحقيقي بعيدًا عن العالم الافتراضي الأزرق، فقد كانت مُعلمةً وأستاذةً للأدب والبلاغة في إحدى الكليات المعروفة.

كانت بشهادة كل من يعرفها سواءً من طالباتها أو أساتذتها قيمةً علميةً معرفيةً تربويةً، وشعلةً مُتقدةً من النشاط والذكاء لا

تخمد جذوتها أبدًا، تُضيء الطرق لكل من يعرفها، تحتوي جميع طلابها خاصةً الفقراء منهم، تمدهم بالحب والعلم والكتب والمعرفة والقيم دون مقابل سوى أن ترى ابتسامة الحب على وجوههن، وتطرب أذناها لسماع دعواتهم لها.

كانت تعوّض أمومتها والتي قدّر الله –ورضيت– أن تُحرَم منها، فكانت نبعًا يُستقى منه الحنان، كوكبًا دريًّا يشع رحمةً وعطفًا، مدفأةً تحتوي كل القلوب من حولها.

تغمر الجميع بمودتها البريئة العفوية، وتجبرهم على احترامها لتواضعها، يشرق وجهها دومًا وينطلق بابتسامة رقيقة؛ لا تكاد تخفي ما وراءها من حزن...

عيناها نجلاوتان مكحولتان من دون كحل؛ يحكيان قصة نقاء قد بات نادرًا في هذا الزمان ويجذبان كل من يلحظهما، لونهما كنهري عسل صافٍ، ووجهها أشبه بطبق من الحليب الصافي المشرئب بعصير الفراولة، وشفتاها ممتلئتان كانتا كقطعتي كريز، إذا تبسمت انشق فمها عن قميرات صغيرة في صفين متراصين في نظم جميل.

كانت تعمل لساعات متأخرة ولا تكل ولا تمل، فليس هناك من يستعجل عودتها، وليس هناك من يستبطئ قدومها، فشقتها الواسعة المطلة شرفتها على نيل مصر العظيم لم يكن ينتظرها بها

سوى دُميتها وصفير الهواء خلف النوافذ.

ليث في الغابة الزرقاء

(ليث) وهو قد كان كذلك بالفعل، فكل له حظ ونصيب من اسمه. كان مُوكَّلًا من قيادته السرية بمتابعة كل ما ينشر على الشاشة الزرقاء، وأيضًا إفاقة الضمير الغافي والمُستغفَى على وسائد الجهل والأنانية والضعف وقلة الحيلة لأمة كانت معجزتها في كتاب وسيُحاسَبون أيضًا في كتاب، وأول ما أُنزِل إليهم كان أمرًا صريحًا مبينًا (اقرأ)...

كان يعرض قضيته قضية وطن يُغتصَب جهارًا نهارًا أمام الجميع ولا أحد يحرك له ساكنًا، اللهم إلا رفع أكف التضرع لبعض المغلوبين على أمرهم من الشعوب التي ما زال ينبض بداخلها قلب

يعرف معنى الإنسانية وحق المسلم على أخيه.

لم يكن ليث يعرض قضية (سوريا) فقط، بل قضية جسد أمة أوشكت الأكلة على التهامه كله، وما زال أصحابه في غيهم يعمهون، وفي صراعاتهم وفتنتهم يمزقون فيه دون نصل واحد من عدوه.

كان ليث لا يكل ولا يمل، فبعد أن يعود من عمله في الجامعة كأستاذ تاريخ، وليس أي تاريخ، فهو أستاذ تاريخ إسلامي، وتحديدًا في عصر الخلافة العثمانية، ولا عجب؛ فلقد كان مُولَعًا مُغرَمًا بشخصية السلطان سليمان من صغره، وكان يُنصت لأبيه ويصغي كل ليلة لأقاصيص توضح عظمة وقوة هذا البطل المغوار، فشبّ وكبر وهو يعشق التاريخ الإسلامي ويحفظ أبطاله عن ظهر قلب، متأثرًا تحديدًا بالسلطان سليمان.

كان بعد عودته وإقامة صلاته وتناول ما يُقيم صُلبه يجلس منهمكًا في نشر الوعي، وبث روح الحماسة، وإيقاظ ضمير إخوته من العرب والمسلمين في شتى بقاع الأرض، تارةً يُذكرهم ببطولات أجدادهم، وتارةً يؤنب ضميرهم بنشر صور الجرحى والقتلى والمصابين، وفواجع الأمهات الثكلى من أبناء وطنه المجروح.

كان يزداد عدد متابعيه يومًا بعد يوم إلى أن وصل عدد المتابعين له في أقل من سنة لأكثر من سبعة آلاف متابع، والحد الأقصى من الأصدقاء، وكان يعرف كل أصدقائه تقريبًا من خلال ما ينشرون

ويحترمونه ويتفاعلون معه من خلال ما ينشر.

وقد كانت (بتيل) منهم، إلا أنها كانت تختلف اختلاف (الشِعرى) عن نجوم السماء، تارةً يراها طفلةً عنيدةً متمردةً، ولكن روحها جذابة بشكل غير عاديٍّ، وتارةً يأسره منها غموض يشتد في شدة وضوحها؛ الذي يجعله في حيرة هل هي بالفعل ما تشف عنه أم هي شيء آخر لم يتم وصفه من معاجم اللغات بعد.

بتيل، تلك الرقراقة العذبة الطلة والنهل، تلك الثريا التي تخطف الأبصار من حولها لشدة تألقها وجاذبيتها الشديدة، لكن هيهات هيهات فهي أعلى من أن يطولها أحد.

ما الذي يجعله يتابع كل ما تنشره؟ لماذا يغار إذا ما علّق أحدهم على صفحتها؟ ولماذا يشتاط غضبًا إذا ما أبدى أحدهم بإعجاب لصورة لها؟ على الرغم –وهو الواضح من تعليقاتهم الراقية المهذبة– أنهم يقربون لها، أو يُجلونها ويحترمونها كثيرًا، حتى الغرباء منهم يرفعونها لسمائهم نجمًا وشمسًا وبدرًا.

ما تلك الرغبة التي تجتث قلبه وتنازعه؛ كي يبادر بمسحهم جميعًا من على حسابها، فلا يبقى بقلب صفحتها غيره، ولا يناقشها إلا إياه، ولا يبدي إعجابه بها سواه، ود لو اختطفها فتنفسها فأبقى عليها بين جوانحه ولا يزفر أبدًا، وإن مات حينها فيكفيه أن آخر نفس له اختلط بأنفاسها.

يفيق فجأةً على رنة (الماسنجر)، إنه قائده يُعلمه بموعد عملية جديدة للفرقة، ويحدثه عن دوره في تهيئة الرأي العام وإيقاظ المزيد من الضمائر واستقطاب المزيد من الدعوات لإنجاح المُهمة دون الكشف عن أي ملابسات، ثم جس النبض عن تحركات العدو وأهدافه في الفترة القادمة.

– تمام. حاضر، عُلِم، سينفَّذ مُعلمي.

كان ذلك رده على قائده، فما كان منه إلا أن استعاذ بالله وبدأ يدخل على صفحات عدوه يجس فعلًا نبضه، ويحاول معرفة ما ينوي عليه، وهل زاد عدد المتعاطفين معه؟ أم أفاقوا وانضموا لمؤازرة الجيش الحرّ أسود السُنّة؟ ثم يرفع (ليث) الصور التي دعمه بها إخوانه في الجهاد ينشرها سريعًا عل الصفحات والمجموعات التي كان مسؤولًا بها (أدمن).

فجأةً، رنّ (الماسنجر) معلنًا وصول رسالة أخرى، فهمّ بفتحها متوقعًا أحد أفراد فرقته أو أصدقائه بالجامعة؛ فالمؤتمر العربي حول الهوية والأمن اللغوي يستعد له الجميع، وهو بالفعل قد انتهى من بحثه، وقدمه لأستاذه الذي قرر أن تشارك به جامعة (الشارقة) في هذا المؤتمر بقاهرة المُعز...

القاهرة التي طالما نزل ضيفًا مُرحَّبًا به فيها، وأكل بمطاعمها الشعبية قبل الراقية، فعشق الكشري المصري من عند (الخديو)

و(أبو طارق)، والمبار من عند (الركيب) والفلافل والفول بالزيت الحار من على عربات بائعي شوارعها، شرب الحمص بالشطة على كورنيش نيلها وقطرات المطر تتساقط لتمشط شعره الأسود الناعم، وتضيء وجهه الأبيض فتلمع عيناه العسليتان في نشوة وسعادة، وتنفث شفاهه الكريزية في يديه علّه يشعر بشيء من الدفء.

كان يمشط الطرقات في حواري الحُسين وخان الخليلي؛ فقد كانت تُذكّره بحواري دمشق العتيقة، فيستنشق عبق الماضي فترُد إليه روحه، وتهدأ نفسه التي طالما اعتُصِرَت شوقًا لوطنه الحبيب (سوريا).

أضاء هاتفه ثانيةً ليذكره بالرسالة، فتحه فوجدها منها. يا الله! خفق قلبه بشدة: ماذا تريد؟ ولماذا تحادثه هو؟ وكيف؟ أسئلة كثيرة تزاحمت برأسه فجعلته يتلعثم قليلًا قبل الرد، فقد كان يعلم أنه غير جائز محادثتها عل الخاص إلا كضرورة شُرب الخمر للظمآن.

– السلام عليكم.

– وعليكم السلام ورحمة الله.

– أخي، كنت أود أن أشكرك، وأقترح عليك –إن لم تمانع– بعضًا من الكتب التي أعجبتني وظننتها ستعجبك.

– تفضلي. (جاء رده مقتضبًا)

– هل سبق واطلعت على كتاب (الهويات القاتلة) لأمين معلوف؟

– لا، حقيقةً سمعت عنه، لكن لم يحالفني الحظ في قراءته.

– أرشحه لك، بالإضافة لكتاب أحمد أمين (ضحى الإسلام) بأجزائه الثلاث، وكتاب (أيها السادة اخلعوا الأقنعة) للراحل المبدع دكتورمصطفى محمود، وأخيرًا روايتي الكاتبة المقربة لقلبي دكتورة خولة حمدي (غربة الياسمين) و(أن تبقى).

شكرها وأنهى المحادثة بكلمات مقتضبة كعادته، وعلى عكس ما يتمنى قلبه، فلقد كان يتمنى لو توسد كتفها ليلقي عليه قليلًا مما يحمله وتنوء به الجبال، فيظل يحكي لها طوال الليل من دون سأم ولا توقف حتى يغلبه النعاس متلحفًا بأنفاسها، لكنه يعلم أنه لا يحق له كل هذا.

تنهدت وأغلقت غرفة الدردشة مسرعةً قبل أن تباغتها صديقاتها أو طالبة من طالباتها بالثرثرة البائسة عن الحال والأحوال وما آل إليه المآل والذي غالبًا ما ينتهي بـ(معلش)، تلك التي يعدها الناس كحبة (بانادول) مُسكنة، ولا يعلمون أنها فقدت مفعولها

لحظة صنعها.

عادت بابتسامة حزينة تُعِد للمؤتمر المرتقَب وتنهي بحثها، ثم أعدت كوبًا من القهوة الفرنسية مؤنسةً وحدتها الودودة، وأخذت ترتشفه في بطء خلف شاشتها الزرقاء، تعلق مرةً في مجاملات سخيفة وضحكات مصطنعة وفكرها سارح شارد مشغول، وقلبها ساهد مكلوم؛ وكأن قدره أن يُخرج العسل وإن كان الهم يلسعه من الداخل لسعًا.

لقاء دون موعد

استيقظت (بتيل) نشيطةً متحمسةً وكأن شعاع الصُبح يخرج من أجلها وحدها، ونسيم الفجر أتى ليفجر ينابيع الطاقة الإيجابية بداخلها فتخرج منه حيويتها رقراقةً في سهوب الدنيا فتنبت أزهارًا ورياحينا.

وقفت أمام مرآتها بعد أن أخذت حمامها الصباحي المنعش قبيل الفجر، وصلَّت فرضها، وانتهت من أذكارها لترى امرأةً ناضجةً في بدايات الثلاثينيات بلغت أوج نضارتها وتمام جمالها ومنتهى جاذبيتها.

لم تكن من هواة وضع مساحيق التجميل، ما عدا شيء من الكحل ومُقاوم للشمس وحُمرة خفيفة جدًّا تحاول أن تُخفي بها آثار الحزن على وجنتيها، آثار لن يراها غيرها، فلطالما شهد الجميع ببراءة طلتها ونقاء بشرتها ورقة ابتسامتها، لكن ما زالت ضربة طليقها وكلماته الخبيثة بأنها باتت شجرةً عجوزًا لن تثمر وأرضًا بورًا خسارةٌ سقياها تثير حزنها وتؤجج ألمها مع أنها لم تكن تجاوزت الخامسة والثلاثين بعد.

ارتدت عباءتها الراقية البسيطة، وربطت حجابها بشكلٍ عصري أنيق يبرز هويتها الإسلامية العربية مع امتزاج بروح العصر ومواكبة صيحات الأناقة، وتناولت على عجل بعضًا من الكعكات المرشوشة بالسكر والمصنوعة بزبدة بلدي يفوح مذاقها إلى الدماغ فيجعله في مزاج جيد، وازدردتها مسرعةً مع قليل من الشاي بالحليب.

ركبت سيارتها المتواضعة ذات اللون الوردي المميَّز، وبمجرد ما فتحت باب السيارة حتى فاح شذا الياسمين منها، ثم ألقت تحية الصباح على دُماها الصغيرة المتراصة في جوانب السيارة وبجوار مرآتها تهتز عروس صغيرة في فرح بقدوم (بتيل)، فانطلقت صوب جامعتها وهي تستمع لسورة مريم بصوت مشاري فتنتشي كل جوارحها حين تسمع قوله تعالى: ﴿هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ فتتنهد في ارتياح قائلةً: يا رب يا جميل؛ حقق لي كل جميل.

دخلت قاعة المؤتمرات بالجامعة فقام الكثير لملاقاتها وتحيتها؛ فقد كانت محبوبةً من الجميع.

وفجأةً نظرت إليها عينان عميقتان لم تكن تعرفهما، لكنها لاحظت أن تلك العينين لم تدر النظر عنها وكأنهما تسمرتا الربع ساعة مدة ما ألقت (بتيل) كلمة الافتتاح، فكأن العينين انتبهتا أخيرًا عندما صفق الحضور بحرارة لانتهاء الكلمة البليغة الموجزة للدكتورة (بتيل).

هذه العينان لم تكن إلا عيني (ليث) الذي انبهر لفيض بلاغة وفصاحة ولباقة (بتيل) ورُقي أسلوبها وتواضعها الجم، وكان ممثلًا لجامعة (الشارقة) في المؤتمر، والذي أعد نفسَه محظوظًا لانتهاله من نبع (بتيل) فتاة أحلامه وسيدة فكره التي طالما روت ثقافته عبر صفحتها على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك)، ولكنه الآن يراها وجهًا لوجه، عينًا لعين. فياله من لقاء دون موعد ولو تواعدا لاختلفا في الميعاد.

لم يكن يريد أن يعرفها بنفسه على الرغم من كل هذا الانبهار وتأجج سعير الحب في صدره، فقد كان يريد أن يعرفها أكثر حتى يضمن أنها لن تخرج منه أبدًا...

لا شك أن جمالها الهادئ، وحشمتها الأنيقة، ولباقتها الأخاذة، ومنطقها العذب، وحضورها الجذاب وثقافتها الواسعة الثرية،

وعينيها الساحرتين، وضحكاتها الهادئة التي تسلب الألباب، روحها البريئة النقية خيلتها له كطفلة صغيرة تركض بمرح وعفوية لتلحق بفراشات المروج في يوم صافٍ غرّيد الطيور، عَطِر النسيم كعطرها الراقي الرقيق، يفوح منه شذا الياسمين كشذا أخلاقها، وشذا الأخلاق يأسر الأرواح للأبد بينما عطور فرنسا تجذب الأنوف للحظات.

سأل عنها كل من يعرفهم من زملائه الثقات فما اختلف عليها اثنان، الكل يشهد بحسن أخلاقها وطيبة قلبها وسماحة نفسها وكرم يدها وطيب أصلها ورجاحة عقلها، إلا (سيف)، فهو الأستاذ الوحيد الذي أثار استغراب (ليث)، فقد وصفها (سيف) بالعصبية والمغرورة والمتغطرسة والمتعالية والكئيبة... إلى آخر ذلك من الصفات البشعة، فتعجب (ليث) والذي ما لبث إلا أن صُدِم بأنها أيضا مُطلقة.

– آه يا ربي. معقول أن تكون هذه السيدة الراقية الرقيقة كنسيم صيف، المحترمة الجميلة كتمام بدرٍ يزين السماء الدنيا تحت كنف رجلٍ ويُطلقها؟ ولمَ؟ وكيف؟ أكيد أنه مجنون أو به جنّة.

ذلك كان حديث (ليث) لنفسه عندما شرد عن تتمة حديث (سيف).

انتهت فترة المؤتمر، وعاد ليث إلى الشارقة مُحمَّلًا بمزيد من علامات الاستفهام، فالوقت لم يسعفه للإجابة عليها كلها.

وأخيرًا أخذ قراره في وضعها قليلًا بعيدًا عن بؤرة تفكيره، واستعان على ذلك بطلب إجازة لأداء عمرة سريعة؛ يغسل فيها قلبه مما أهمه، ويستخير ربه، ويُصفي ذهنه، وبالفعل سافر لبلاد الحرمين، وعاد بعدها آخذًا قراره.

طرق الباب في خفةٍ، فعرفه رئيسه وعميد كليته، فقال من خلف مكتبه الفخم:

– ادخل بني (ليث).

دخل ليث مبتسمًا فاحتضنه رئيسه وداعبه قائلًا:

– مرحبًا بأسدنا، كيف حالك اليوم يا بطل؟

– الحمد لله. أحسن كثيرًا؛ فعلى الرغم أن العُمرة كانت سريعةً إلا أنها عمّرت قلبي.

– ثم ماذا؟

قالها المدير بطريقة وكأنه يقولها لابنه ويستنطقه ليأتي بما عنده من كلام خبأه، وما زال هذا الابن يخفي كثيرًا بجعبة قلبه، فقال ليث:

- علمت سيدي بأن قسم البلاغة لدينا في حاجة لمحاضر ماهر، أعلمني بذلك رئيس القسم أثناء محاورة سريعة لنا على شبكة التواصل الاجتماعي ليلة أمس. وإنني وجدت في مصر دكتورةً على قدر كبير من المهارة والرُقي والإبداع والثقافة والعلم والدماثة وحسن الخلق.

وأسهب ليث في إطرائه لبتيل، ثم أخذ رشفات قليلة من قهوته استعاد بها ريقه الذي كاد يجف، وقال مستأنفًا:

- فما رأيك سيدي لو عرضنا عليها أن تأتي كمدرس زائر، ونساعد رئيس قسم البلاغة لسد عجزه.

أومأ العميد في انصياع ممزوج بابتسامة الخبير بأن هذه الدكتورة من الواضح أنها ليست مجرد أستاذة جامعية أُعجِب (ليث) بثقافتها بل هي لنفسه وقلبه أكثر من ذلك. ثم قال لـ(ليث):

- نِعم الرأي ما اقترحت بني!

فتهللت أسارير (ليث) ولم يخفِ ذلك عن العميد الذي ترجم لمعان عيني (ليث) بأنها لمعة الحب لا شك.

عادت بتيل من الإسكندرية مرتاحةً كثيرًا وفي كامل نشاطها وخفتها وتألقها وكأنها شجرة تجددت أوراقها في نضارة للتو، أو زهرة تفتحت مبتسمةً لنسيم بحر داعب رحيقها فانتشر في كل مكان

يملأه بهجةً وانتعاشًا.

وبينما تروي ورد القرنفل في شرفة حجرة نومها إذ بهاتفها المحمول يرن برقم بدا عليه أنه رقم خاص أو خط ساخن مميز.

– السلام عليكم، من معي؟

– وعليكم السلام يا فندم، الأستاذة بتيل شريف معي؟

– نعم أنا هي؟ من حضرتك؟

– مع حضرتك القنصلية.

– القنصلية؟

– خيريا فندم، مبارك لك، فلقد تم اختيارحضرتك كأستاذة زائرة بدولة الإمارات العربية الشقيقة لتدريس مادة (البلاغة) في جامعة الشارقة. وأمام حضرتك فرصة كافية لاستخراج جواز سفر وتحضير الأوراق المطلوبة، فبإذن الله السفر سيكون خلال خمسة عشر يومًا من الآن، وأعتقد أن هذه فترة كافية لإتمام الإجراءات.

طال صمتها وأخيرًا نطقت:

– حسنًا يا فندم، سأفكر في الأمر وأستخير الله وأستشير وأبلغكم بردي قريبًا جدًّا إن شاء الله، شكرًا لحضرتك

وجُزِيت خيرًا.

أغلقت الهاتف وهي لا تعرف هل تفرح لهذا العرض المغري والمجزي؟ أم تحزن؛ فهي تعلم أنها وحيدة والغُربة كُربة.

في اليوم التالي، طُرِق باب مكتبها، فأجابت:

– تفضل.

دخل (سيف) وعلى وجهه ابتسامة صفراء ثقيلة لم تكن ترتاح لها أبدًا.

– خير؟ بماذا يمكنني أن أخدمك دكتور(سيف)؟

– إلى متى ستظلين تعاملينني بهذا الجفاء؟

– اسأل نفسك لتعرف وحدك الإجابة يا دكتور.

– ألن تنسي ذلك اليوم؟ لقد كان خارجًا عن إرادتي.

– تقصد خارجًا عن وعيك؟! كيف تتجرأ يا دكتور وتدخل مكتبي مخمورًا وسكيرًا؟

– لا تكوني حنبليةً، قد كانت مجرد زجاجة بيرة!

كان رده فيه تساهل وخنوع، فجاءه ردها في حزم وقوة:

– دكتورسيف بم يمكنني مساعدتك؟ المعذرة وقتي ضيق لا يسمح بمناقشة المزيد من المهاترات، ولست بصدد فتوى

أنت الأعلم بها، أليست أكثر الأبحاث والرسائل التي تشرف عليها تخرج تحت عنوان (من منظور إسلامي) وبالتالي من المفتَرَض أن تكون على علم بأن ما أسكر كثيره فقليله حرام.

تلعثم قليلا قبل أن ينطق:

– إذًا فاغفر لي زلتي، فالله غفور رحيم، وأنتِ حبيبتي.

قالها وهو يحاول الاقتراب منها ومسك يدها، فسحبت بتيل يدها في قوة وغضب وقالت بعصبية غير معهودة منها إلا في تلك المواقف الصعبة:

– دكتور سيف اتفضل اخرج من مكتبي حالًا وإلا طلبت الأمن الجامعي ليخرجك، وحررت ضدك مذكرةً بتهمة التعرض لي.

ضرب بقبضة يده على مكتبها وقال بغضب مكتوم وهو يجز على أسنانه محاولًا خفض صوته:

– ستدفعين الثمن غاليًا، قسمًا بربي سأجعلك تندمين وتدفعين فاتورة عنادك وكبرك وتغطرسك، ولن أدع أحدًا يقترب منك، سأجعل كل من يراك يكرهك، سألوث سمعتك حتى تغلق الأبواب بوجهك، فتأتيني جاثيةً على ركبتيكِ. ستندمين يا بتيل ستندمين.

خرّت على كرسيها في حالة أشبه بالانهيار، وانهمرت دموعها دون شفقة تجلد وجنتيها، وتلفحهما بلظى سعير تأجج بقلبها، فتلك لم تكن المرة الأولى التي يضايقها فيها ذلك الحقير، ولم تكن أول مرة يحاول فيها أن يستغل وحدتها وضعفها، ولم تكن المرة الأولى التي افترستها بنظراته الخبيثة التي تحاول أن تجردها من ثيابها المحتشمة.

وشأن (سيف) كان شأن كثير من الرجال من حولها؛ فمعظمهم كانوا يعدونها ظبيةً شاردةً حلال اصطيادها وافتراسها، ولم يكن يمنعهم عنها سوى تدينها وأدبها واستعانتها بالله الذي وهبها القوة والثبات والجرأة في مواجهة تلك الذئاب المفترسة في هيئة بشر، ومن كان الله معينه لم يكن هناك من يغلبه: ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ**﴾، ومن كان الله مؤنسه امتلأ قلبه بالطمأنينة وأن الله مع المُنكسِرة قلوبهم.

تناولت غداءها بعد أن عادت إلى بيتها وهي شاردة، ضجيج فكرها لم يعطها فرصةً لتتلذذ بمكرونتها المفضلة، فقد كانت تُفكر في العرض الذي جاءها بالأمس، وتفكر أيضًا في تطاولات (سيف) وسخافاته التي لا تنتهي منه ولا من غيره، فقامت فغسلت يدها والأطباق، ثم توضأت وصلت العصر ومن بعده ركعتي استخارة، ثم فتحت مصحفها الملوَّن والمُعطَّر، وتلت ما تيسر من سورة الرحمن،

فغلبها النعاس فنامت.

في منامها رأت وكأنها ترتدي فستانًا أبيض يسر الناظرين، وهناك شاب وسيم يشبه كثيرًا الرجل الذي كانت عيناه ترتكز عليها في المؤتمر، وكان في يده مصحف مذهَّب، وإذ به يمشي هونًا تجاهها فيقدم لها ذلك المصحف الجميل وكأنهما في بيت جديد كبير جميل في أرض لم تكن لتعرفها وكأنها أرض الحجاز، فقامت من نومها مرتاحةً كثيرًا للرؤية وصدرها أكثر انشراحًا، خاصةً وإنها فسرت الرؤيا بأنها ربما بشارة جميلة للسفر.

ثم دخلت عبر هاتفها إلى حسابها على موقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك) وكتبت تستفسر عن فكرة السفر ليطمئن قلبها أكثر. فإذ بأغلب التعليقات تأتيها مشجعةً ومحفزةً لتبادر الفرصة وتحذرها من فوتها، فمن بادر الصيد قنص، إلى أن قرأت تعليقًا جعل قلبها يكاد يخرج من بين ضلوعها فرحًا. إنه (ليث)، ها هو يعلق أخيرًا على منشور خاص لها وليس منشورًا ثقافيًّا ولا سياسيًّا، ويقول: «**اغتنمي فرصتك، فربما لا تتكرر وأنت الأجدر بها.**»

تهلل وجهها واحتضنت هاتفها في نشوة عارمة كادت بها تلامس عنان السماء من الفرح، وهي عازمة على أمرها ومتوكلة على ربها بأنها ستسافر إلى الإمارات.

لقاء على اشتياق

كان يعلم بموعد قدومها، فنزل على غير عادته –وهو الهادئ الرزين– في عجلٍ وأدار مفتاح سيارته، وانطلق صوب جامعته. لا يريد أن يتأخر، يريد أن يكون أول مَن تقابله في الكلية، اشتاق لابتسامة عينيها، لخفة روحها، لحضورها المتميز، لعذوبة صوتها، وحلاوة منطقها، فقد حُفِرت صورتها بذهنه على الرغم من محاولة (سيف) القذرة لتشويهها بداخله.

طرقت الباب برقة، فجاءها صوت العميد في جهورية:

– تفضل.

– السلام عليكم، حضرتك أنا الأستاذة (بتيل شريف) أستاذة البلاغة والنقد الأدبي بكلية الآداب، جامعة القاهرة.

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، أهلًا، أهلًا وسهلًا بحضرتك.

ولم يمد العميد يده لمصافحتها فسمتها يبدو منها أنها لا تُصافح الرجال، ثم التفت العميد تجاه رجل أربعيني وقور ذي عينين عميقتين لا يخفى بريقهما عليها وهما اللتان تسمرتا من قبل أمامها في القاهرة منذ أقل من شهر تقريبًا، نعم هذه العينان لهما بريق لا يمكن لأحدٍ أن يراه ثم ينساه، فما بالك وذلك البريق اختصها من دون الحضور يومئذ حتى كاد أن يخترق قلبها، هو نفسه الرجل الذي رأته في منامها بشعره الكستنائي المائل للون قشرة البندق، وشعره البني الناعم وكأنه قُصَّ من مُهر عربي أصيل، فاستأنف العميد قائلًا:

– دكتور(ليث) زميلك، كنتما قد التقيتما بمؤتمر القاهرة.

– أه، فعلًا، أهلًا وسهلًا يا دكتور، قد كان لقائي مع حضرتك طيبًا مثمرًا وراقيًا واستمتعت به كثيرًا لدرجة أنني دونت ما دار فيه في دفتر لملاحظاتي اليومية حينها.

قال (ليث) في حياء رجولي وقد وقف ليحييها:

– بل الشرف لي سيدتي.

قاطعهما صوت العميد:

– تفضلا بالجلوس، دكتور (ليث) هو من زكّى حضرتك للمجيء إلينا، وكان متحمسًا جدًّا، ولطالما أشاد بذكائك وعلمك ورُقيك.

قالت في حياء:

– يا الله. هذا كثير جدًّا عليَّ.

قال ليث وعيناه تلمعان:

– بل تستحقين أكثر من ذلك.

قاطعهما العميد في امتنان وود:

– دكتور (ليث) اصطحب دكتوره (بتيل) لمكتبها الجديد بقسمها.

ابتسمت (بتيل) وهمت بالوقوف تشكر العميد.

فسحة في القلب

وهما في طريقهما إلى قسمها لتتسلم عملها الجديد وتعاين مكتبها، إذ بفتاة تصطدم بكتف (ليث) بقوة غير متعمدة؛ حيث كان يبدو أنها خارجة في سرعة ممزوجة بعصبية، وحينما تناثرت بعض الأوراق من يدها وانحنى (ليث) ليجمع معها ما تبعثر منها وسط ذهول من (بتيل) وارتباك من الفتاة، إذ بليث يقول لها ممازحًا:

– يبدو أنك لم تنسي فقط أخاك، بل نسيتِ تمهلك وتعقلك.

فضحكت الفتاة وقالت:

– على رسلك. لم أنس أخي مطلقًا ولم أفقد أيضًا أنوثتي.

فضحك (ليث) وعاود المزاح بشكل أشد:

– ولم تفقدي عِنادك أيضًا، خاصةً وإنني لم أقل بتاتًا بأنك فقدت أنوثتك يا دكتورة، بل قلت نسيتِ تمهلك وتعقلك.

فضحكت حتى ظهرت نواجذها وقالت (عليا):

– وهل الأنوثة شيء آخر غير التمهل والتعقل، يا أخي الحبيب.

ثم مالت عليه وهمست:

– ويبدو أنك وقعت أخيرًا؛ مَن القمر الذي بجوارك؟

فتنحنح وقال بصوت متزن جهوري:

– يا الله! شقاوة أختي أنستني أن أعرفكما ببعض. دكتورة (بتيل) أستاذة الأدب والبلاغة بجامعة القاهرة، أختي (عليا).

– أهلًا وسهلًا بحضرتك، وطالما طلعتِ مصرية فلازم بقى أدوقك ملوخيتي ونشوف شهقتك والا شهقتي.

ضحكت (بتيل) وقالت:

– واضح أنك تتقنين اللهجة المصرية وليس فقط الملوخية.

– وكيف لا وأنا لو لم أكن مصريةً لوددت أن أكون صاحبة

مطعم أكلات سورية.

فضحك الجميع. فاستأنف (ليث):

– أختي (عليا) مصرية الأم والهوى وأختي من الأب، فلذلك هي فعّلت الوحدة العربية للدولتين حتى بعد انتهائها.

تهلل وجه (بتيل) وانفرجت أساريره عندما علمت بأن (عليا) مصرية ولو من الأم فقط.

ثم قالت (عليا) في خفة وود:

– ستكون لي أخت أخيرًا، وستشاركني غرفتي المتواضعة في بيتنا، أليس كذلك يا (ليث)؟

– أتمنى لو أن الدكتورة (بتيل) توافق.

– وهل يمكن لها أن ترفض؟ أين حقائبك يا (بيوتي)؟ واسمحي لي أن أدللك بهذا الاسم!

ابتسمت (بتيل) في حياء وود وقالت:

– لكن أنا لا أريد أن أثقل عليكما، ولقد نزلت بفندق حتى أجد مسكنًا قريبًا.

قالت (عليا):

– عيب عليك، هل يكون لأخويك بيت وتنزلين بفندق؟ والله

لن أسامحك ولن أحدثك بعد الآن إن لم تأتِ لتعيشي معي في بيتنا وتؤنسي أختك في غرفتها.

قال (ليث):

- إذًا، لا مفر دكتورة (بتيل)، هيا لنأتي بحقائبك إلى البيت وإلا خسرتِ الملوخية.

فضحك الجميع وذهبوا ليحضروا الحقائب.

وفي المساء كان الغداء متأخرًا، وقد أعدت (عليا) أصنافًا من الطعام المصري المميَّز، أعدت الملوخية الشهية والأرز المصري الشهي وحمامً محشيًّا ومُحمَّرًا، وورق عنب محشي وحساء (لسان العصفور) اللذيذ وعليه عصرة ليمون تفتح الشهية. أبدت (بتيل) إعجابها الشديد بـ(نَفَس) عليا في الطهي، وقالت إن طعامها كان شهيًّا ذكرَها بأكل والدتها رحمة الله عليها.

ثم قامت (بتيل) و(عليا) يجمعان الأطباق وعندما همّت (عليا) لتغسل الأطباق كانت بتيل قد شمرت عن ذراعيها وأقسمت ألا يغسل الصحون غيرها، فرضخت (عليا) لرغبة (بتيل) وقامت لتعد هي الشاي بالنعناع المنعش لتجعل كل روائح مصر حاضرةً قدر الإمكان، حتى أنها احضرت (الفول السوداني المُحمَّص والمُملَّح) ليتناولوه بجانب الشاي، وصبت الشاي في أكواب زجاجية وليس في

فناجين صينية.

والتفت ثلاثتهم حول التلفاز يتابعون نشرات الأخبار في سخطٍ وامتعاض مما ألمّ بجسد الأمة من تفكك وتناحرٍ وتشتت وتفتت، وعدم تحمل للمسؤولية من الزعماء في إرساء العدل والمساواة بين شعوبهم حتى يوفروا على السرطان الصهيوني بث سُمّه في جسد الأمة الذي بات يتأوه ويئن ويتألم من المحيط إلى الخليج، بل تعدى ألمه ذلك؛ ليصل لمسلمي بورما المسالمين، فأصبحوا يُحرَّقون ويُمزَّقون لمجرد قولهم لا إله إلا الله...

لا إله إلا الله... تلك الكلمة التي باتت شعارًا للإرهاب على حد زعم الغرب، في حين أن الإرهاب الحقيقي يكمن في ذلك السرطان الصهيوني المغتصِب الذي لا يدع فرصةً إلا ونفث سُمّه في هذا البلد أو تلكم الدولة، أو ذلك القُطر ليشعل الفتن والأحقاد، فالسلام معناه انهيار إسرائيل؛ فيجب أن يظل العالم في تنازع وتناحر حتى يُلهى عن جرائم الاغتصاب الصهيوني في حق إخوتنا الفلسطينيين.

وأصبح العالم الذي يتغنى بالحفاظ على السلام ويستبيح حرمات الدول بحجته وبأنه ما دخلها إلا لانتزاع أسلحة الدمار الشامل؛ فما كان من أمريكا بعد أحداث البرجين في سبتمبر إلا أن تهجم على العراق الشقيق بنفس الحجة الساذجة.

وما كانت أحداث سبتمبر في الأساس إلا مكيدةً صهيونيةً دنيئةً

لتشويه صورة الإسلام من جهة، ومن جهة أخرى لتجد أمريكا واللوب الصهيوني بها مبررًا أمام شعوبها لغزو العراق واغتصاب ثرواته في شكل حروب صليبية جديدة.

العراق الذي كان كعبةً للعلماء وبغداده دُرّة للإسلام، العراق بلد المليون نخلة، والذي طالما فتح أبوابه ليعمل فيه أخوته العرب والمسلمون، وشارك في حروب العرب شتى، ودافع عن الأرض وزاد عن العرض...

أصبح العراق ذبيحًا وسط مرأى ومشهد من إخوته ولا يملك ذوو الإنسانية منهم إلا البكاء والدعاء لعراقنا الحبيب أن يعيد الله له مجده وعزه وتعود راية (الله أكبر) ترفرف خفاقةً على موطن خصب نمير.

هكذا يجب أن يظل الشرق الأوسط في فتن وصراعات ونكبات ونكسات ليتفرغ السرطان الصهيوني لامتصاص دماء جسد الأمة وبناء دولته على أشلائه، فلا بد أن تنشغل روسيا بالحروب داخل الأراضي السورية لحماية نفوذها وتصفية حسابتها مع أمريكا، ويتم تصفية أكبر ثاني جيش عربي في المنطقة وهو الجيش السوري، فلا يعود هناك ما يهدد أمن وأمان إسرائيل...

وفي نفس الوقت تُفتعل حوادث إرهابية داخل فرنسا ويُتَّهم فيها المسلمون كالعادة، وكأن الإرهاب الفرنسي في مالي والجزائر قد

أصبح نسيًا منسيًّا، فلتدخل فرنسا هي الأخرى لتستعيد حلمها في احتلال سوريا...

ويشعل الخامانيون نيران الفتنة وتصبح الأحداث في ذروتها على صفيح ساخن وكأنها حرب عقيدة بين الشيعة والسُنّة في حين أنها أطماع دولية وحلم فارسي قديم لاحتلال بلاد العرب، ورغبة للعالم المتغني بالسلام في ذبح حمامة السلام والتهامها وقليها في زيت الزيتون بعد عصر غصنه.

ساد شيء من الصمت، بعد نقاش استمر لأكثر من نصف ساعة حول ما سبق، حيث دافع (ليث) بكل شراسة عن أسود السُنّة الدواعش -كما كان يراهم- في حين كانت (عليا) تُصر على أن هناك فئةً ليست بقليلة من الشيعة لا يسبون غير اليزيد بينما يحبون ويجلون جميع الصحابة، ويتزوجون من أهل السنة، وأن صديقاتها العراقيات مثلًا أغلبهن من أبٍ سُني وأم شيعية أو العكس.

لم يشعروا بأي مشكلة ولا فرق، ولم يتذوقوا الفرقة قبل دخول الغزو الأمريكي الغاشم، بل طالما ارتحلوا آمنين ما بين إيران وأصهارهم في الخليج العربي كله وليس فقط العراق، إنهم يحلمون باليوم الذي يتخلصون فيه من الديكتاتورية الخومينية، ويكونوا تحت خلافة واحدة إسلامية يتناوب عليها حكام عادلون لا ضُرّ لو

كانوا صوماليين طالما أكفاء لها يقيمون العدل وينشرون روح الحرية ويرسون مبدأ الشورى، فتلتأم جراح الأمة وتعود لجسدها العافية.

كانت (بتيل) تستمع إلى النقاش في صمت وهدوء غير معتاد، تراقب كل ما يحدث في تأمل، وتنتظر رد (ليث) على كلام أخته وتتمنى لو كان رده هادئًا فقد أوشك الحوار أن يتحول لخلاف وشقاق، وأخيرًا جاء رد (ليث):

– أختي، أعلم أن هناك معتدلين من الشيعة وأنهم لا يرحبون بحربنا، ولكنهم كما قلت لكِ قلة ضعيفة لا حول لهم ولا قوة أمام جبروت وطغيان الخميني ومناصريه، وبالتالي لا يفل الحديد إلا الحديد، ولن تخمد النيران التي أشعلوها إلا بعد أن يُحرقوا بها.

هنا ردت (بتيل):

– وهل يُعقَل أن تُطفَأ النار بالنار؟ وهل الشيعة هم من بدأوا بإشعال الثورة في الشام؟

تسمرت عين (ليث) في صمتٍ غاضب ناظرًا إلى الأرض، وكأنه لم يكن يُصدق أن يكون هذا ردها بعد كل هذا الصمت، فردّ قائلًا في استهجان:

– لا، لم يكونوا هم، لكن كان لا بُد من قمع سلطتهم

وإسقاطها، فهي حكومة ظالمة وحاكمها كافر فاسق ماجن فاجر.

استأنفت (بتيل) في هدوء قائلةً:

– والآن وبعد كل هذه الحروب، التي شوهت وجه (دمشق) الجميل وحرقت حلب الرقيقة ودمرت مكتبات الشام عاصمة الثقافة. تُرى أن فعلا الثورة كانت ولا تزال بين أهل السُنّة والشيعة؟ هل أثمرت عن دخول الناس في عقيدة أهل السنّة أفواجا؟ هل حققت السلام؟ هل تحقق العدل؟ أم باتت سوريا مسرحًا لتصفية الحسابات الدولية، وجرحًا غائرًا جديدًا في جسد الأمة لم يزد إسرائيل إلا قوةً؟

تلعثم (ليث) بينما ابتسمت (عليا) وفجأةً وقف (ليث) معتذرًا:

– الله بيفرجها. تصبحون على خير، لدينا يوم طويل غدًا، فسوف تذهبون إلى التسوق وطبعًا على السائق الحارس أن يكون يقظًا.

وابتسم ليث نصف ابتسامة تحمل في طياته حزنًا عميقًا، قرأته بتيل في عينيه، فاستوقفته قائلةً:

– دكتور(ليث)، هل حضرتك متأكد أننا لم نلتقِ من قبل غير مؤتمر القاهرة؟

– بل التقينا بمكتب العميد.

وهنا ضحكت (بتيل) ضحكةً رقيقةً وقالت:

– أعلم، ولكن أشعر وكأنني قابلتك من قبل.

فابتسم ليث في حياء وخفض عينه، وقال:

– الأرواح كما أخبرنا حبيبنا النبي جند مجندة؛ ما تعارف منها ائتلف.

فردت (بتيل) و(عليا) في صوت واحد:

– صلوات ربي وسلامه عليه.

وعندما صعدت (عليا) و(بتيل) للطابق العلوي لتتصفحا مواقع التواصل الاجتماعي قبل نومهما، طلبت عليا من (بتيل) أن تقبل طلب الإضافة الذي أرسلته لها، وهنا كانت المفاجأة، حيث كانت (عليا) هي الفتاة الوحيدة التي تُعلق كثيرًا وتناقش (ليث) على موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك).

«ليث! يا لها من مفاجأة! كيف لم أنتبه لتشابه الاسمين؟ وكيف لم أنتبه لنفس الأسلوب؟ يا الله! إنه هو... ليث أسد السُنّة! يا له من قدر!»

دار الحديث السابق في خُلد (بتيل) فاحتضنت هاتفها المحمول

وابتسمت ابتسامةً لمعت معها عيناها، ثم أطبقت جفنيها وراحت تغط في سبات عميق كما لو كانت لم تنم من قبل.

وفي الصباح ركبوا جميعهم السيارة في نشاط وكان الجو به لمسة برد مُنعشة بالرغم من إشراقة الشمس. اتجهوا بقيادة (ليث) إلى بُحيرة (خالد)، حيث بدأت جولتهم بالمشي حول كورنيشها وكانت (بتيل) في أوج نشاطها وذروة فرحها.

بتيل كانت تعشق هذا الجو البارد، ويسلب لُبها منظر البُحيرة ذات النسيم المُنعش الذي يداعب حواسها فيجعلها تنتشي كما لو كانت في أيامها الخوالي في الإسكندرية مع الفارق البسيط من تنعم أذنيها وطربهما بصوت موج الإسكندرية المتعانق في سيمفونية طبيعية تسحر الأرواح، لكنها نفس الرائحة للنسيم المعبأ باليود والذي يذيب مع دخوله المسام أي طاقة سلبية لديها، وتجعلها كريشة تحملها النسمات لتعانق الغيمات فتستقبلها بالقُبلات، فتثمل من دون خمر وتتراقص في خفة ووداعة كفراشة مرج.

لاحظ (ليث) بريق الفرحة وسنا البهجة يشع على وجنتي (بتيل) وبداخل عينيها لاتزال بقايا حزن دفين عميق استشعره هو في أسى وحزن، فقال في صوت رخيم حانٍ:

– ما رأيكما في أن نجلس هنا؟

اختار (ليث) مكانًا هادئًا يكاد يكون خاليًا في مقهى، وكان اختيارًا رائعًا حقًّا، فقد كانوا على شبه حافة البحيرة، وسرعان ما جاء النادل ليسألهم عن فطورهم فقال (ليث) وكأنه يريد أن يصرف عيني النادل عن الزهرتين اللتين بجواره:

– ثلاثة أكوابٍ من القهوة بالحليب، وثلاث قطع من الكورواسون.

فنظر النادل إلى السيدتين، لكنهما أومأتا برأسيهما كعلامة للقبول.

تناولوا الفطور، وتبادلوا الحديث عن ذكريات جميلة في حضن أوطانهم، فتحدثت (بتيل) عن أجمل أيام عمرها في القاهرة وكيف نمت وترعرعت في حي ارستقراطي، هو حي (جاردن سيتي) الهادئ.

بينما تحدثت (عليا) عن وطنها حيث وُلِدَت في مصر على ضفاف قناة السويس في الإسماعيلية؛ تلك المدينة الساحرة وباريس الصغرى، والتي تتميز بهدوئها وجمالها وخفة ظلها وكثرة الخُضرة فيها، فتبدو كحديقة كبيرة على ضفة القناة.

وتحدثت عن الوطن الآخر سوريا، حينما اصطحبها والدها لأول مرة لزيارة دمشق وكيف أبهرتها طيبة وكرم السوريين ورُقي ثقافتهم وحبهم للمصريين خاصةً، تحدثت عن ذهابها للمكتبات المتنوعة

واحتسائها الشاي في مقاهي تحمل عبق التاريخ، ما زال شذا الياسمين بأنفها، وما زال أريج أزهار الليمون يفوح بخيالها.

هنا تنهد (ليث) قائلًا:

- كانت أيامًا جميلةً، فبالرغم من صدمة أمي عندما علمت بزواج أبي الثاني إلا أن أخلاق والدتك وطيب معاشرتها سرعان ما ذوّب تلك الغيرة وأزال اللمم، ووءم بينهما فكان كل من يراهما لا يشك مطلقًا أنهما أختان لولا اختلاف اللهجات. ولا أنكر أن والدتك كان لها الفضل بعد الله في إتقاني للغة الإنجليزية، وتغذيتي بكتب الأدب العالمي وجعلي أُطل بعيني الصغيرتين على جميع دول العالم من خلال نوافذ كتبها الثمينة.

شعر الجميع بدفء بالرغم من برودة الجو، كان دفئًا للود والحب سرى في عروقهم فأمدهم بقوة، قوة لا تحمل سلاحًا، بل تحمل نبضًا ومحبةً ودفئًا، تمنوا لحظتها لو تجاوزهم ليشمل كل شعوب الأرض فيعيد لهم أخوتهم في الإنسانية ويستعيد الجسد عافيته من بعد طول أنين.

أذّن الظهر وذهب الجميع لأداء الصلاة في المسجد القريب، ثم عادوا يمشطون الطرقات في (الشارقة) حتى وصلوا لمطعم سوري يبيع أشهى المأكولات وكالعادة بأبسط الأسعار، وكان من مميزات

المطعم أنه يطل أيضًا على البُحيرة، فلقد آثر (ليث) أن يكون الغداء أيضًا في المكان الذي لمعت فيه عينا حبيبته بالرغم من حزنهما.

تناولوا الدجاج المشوي والثومية والبطاطس المقرمشة وبرك اللحم المفروم الرائع وبعض المُخللات في نهم وسعادة وضحكات ممزوجة بحب.

ثم اقترح (ليث) أن يذهبوا جميعًا لرؤية المُتحف، فقالت (بتيل):

- أيوجد متاحف للآثار هنا؟ على حد علمي لم يكن هناك حضارات قديمة بالإمارات كالفرعونية والرومانية والبابلية وغيرهم.

قال (ليث):

- بل توجد، وكانت وستكون أعظم حضارة؛ ألا وهي الحضارة الإسلامية. سنذهب لمتحف (التراث الإسلامي).

كان اختيارًا موفقًا، فلقد بهرت (بتيل) بتراثنا الإسلامي العظيم، وبإبداع الفنانين المسلمين في كتابة القرآن بخطوط مبهرة، وراق لها ذلك الجو المشبّع بعبق التاريخ وكأنها ركبت سفينة الزمن الأسطورية لتعيش في عمق التاريخ الإسلامي في لحظات.

هنا ارتفع العصر؛ فذهبوا جميعًا لصلاة العصر في مسجد

المُتحف، بعدها، واقترح (ليث) بعد ذلك أن يذهبوا للتسوق وقد كان الوقت مناسبًا، فشرعت الفتاتان في التسوق.

كانت (عليا) منهمكةً في شراء أحدث أنواع مساحيق التجميل والعطور الفرنسية الراقية، وكانت من عشاق الموضة، ومهتمة جدًّا بأحدث صيحاتها بالرغم من تحذيرات أخيها بُحرمة الخروج بذلك، لكنها كانت تطمئنه بأنها كما تعود وراها لا تضع سوى الكحل وبعض الرتوش البسيطة جدًّا والتي بالكاد تحدد ملامحها.

– إذًا، لماذا كل هذا؟

– لا أعرف، ربما هي الغريزة الأنثوية التي تدفعني لأتزين لنفسي في البيت، ألا تستحق نفسي أن أهتم بها وأدللها.

يضحكون من مداعبات (عليا) ومرحها، فقد كانت عالمةً في الذرّة لكن بروح طفلة بريئة مقبلة على الحياة، فبالرغم من تعقيد أبحاثها وجفاف المواد التي كانت تستعملها إلا أنها بخارج قاعات البحث غُصن أُمودٍ مزهر يبهج كل من تطل عليه.

أما بتيل فقد اشترت بعض الحُلي الرقيقة، وزجاجة عطر فرنسي وكثيرًا من الروايات والكتب، فالقراءة كانت بالنسبة لبتيل رئةً أخرى والكتب أكسير حياة، فما دخلت متجر للكتب حتى ابتاعت منه ما لذ وطاب لفكرها ووجدانها.

كان التسوق ممتعًا، اتجهوا بعده إلى البيت على أمل فسحة أخرى وعدهم بها ليث.

وفي أثناء العودة كان (ليث) ما بين الفينة والأخرى يفتح محموله وكأنه يرد على محادثة مهمة، مرةً تعلو وجهه ابتسامة ومرةً أخرى يعبس، مما جعل بتيل تراقبه على امتعاض وريبة، فظنت – وبعض الظن إثم– أنه يحادث امرأةً يذوب فيها عشقًا؛ فيفرح عندما تبادله حبه، ويعبس إن ما لوعته نيران شوقه، لكنها كانت تقول إن أخلاقه لا توحي أبدًا بذلك، فهو منذ أتت ووطأت أقدامها بيتهما لم يرفع عينيه لحظةً فيها، فكيف؟ وهل من الممكن محادثته لامرأة على غرف الدردشات وهو الذي كان يقتضب الحديث معها اقتضابًا حينما كانت تحادثه قبل مجيئها الشارقة؟

ولكن، مَن يعرف فربما تكون خطيبته أو زوجته وما زالت في سوريا؟ لكنه لا يرتدي أي خاتم زواج بإصبعه، مَن يعلم فقد يكون من أولئك الذين يعتقدون ببدعته.

أخذت نفسًا عميقًا أخرجته بتنهيدة، وصلت لقلبه فأفاقته من النظر إلى المحمول للنظر في المرآة، فتلاقت أعينهما في رسائل عتاب حانٍ ومحملة بعلامات استفهام عدة فيحترق القلب لأجلها. لكنهما سرعان ما يغضان الطرف وكأنهما استشعرا نيران الآخرة قبل الدنيا لاختلاس نظرات محرمة لم تكن من حقهما.

ارتمت (عليا) على سريرها بعد حمام دافئ، وفتحت المكيف على الدرجات الدافئة، فالجو أصبح قارس البرودة، وتلحفت بغطاء تركي الصنع وثير، بينما جلست (بتيل) على كرسي هزاز وأمسكت بين كفيها الرقيقتين رواية (شيء في صدري) لإحسان عبد القدوس، وخللت خصلات شعرها الأسود الناعم بأناملها الناعمة، وكأنها سرحت بعيدًا عن الرواية التي في يدها، مما جعل (عليا) تقول لها مكررةً:

– (بيوتي)، (بتيل)، (بتيل)، أين ذهبت يا ذات الشعر الطويل؟

فانتبهت بتيل وقالت وهي شاردة:

– ها!

وتلعثمت قليلًا وكأنها تستجمع بعضًا من شجاعتها التي ذابت في حيائها، ثم قالت:

– أعتقد أن زوجة أخيك تفتقده وهو أيضًا يفتقدها؟ أسأل الله أن يجمعهما على خير؟

ردت عليا في استنكار واستغراب:

– أي زوجة أخ؟

قالت (بتيل):

– زوجة (ليث)، مؤكد أنها تقاسي الوحدة هناك من غيره في سوريا، فتجتمع عليها نيران الحرب والوحدة، وأكيد أطفاله.

قاطعتها (عليا) في ضحكة شبه هيستيرية ساخرة:

– زوجة (ليث)؟ وهل تزوج (ليث) من دون أن يُعلم أخته الوحيدة؟ يا (بيوتي)، يا جميلتي، ليث أخي حالة ميؤوس منها؛ فهو لم يتزوج وأعتقد أن الميم ستكون نونًا؛ ولن يتزوج، لقد سئمت من حديثي معه ولطالما عرضت عليه خيرة البنات من المحيط إلى الخليج وأجملهن، لكنه كان يرفض متعللًا بأنه يريد امرأةً بعقل رجل وفؤاد طير ورقة جدول ماء يجري بين مروج خُضر، وفكر جذوره راسخة في عُمق الإسلام وثماره طيبة، وروحها طفلة نقية لم تلوثها الحياة بعد، فما كان مني إلا أن قلت له ستجدها إن شاء الله في كتاب ألف ليلة وليلة.

فضحكتا حتى تثاءبت (عليا) وقالت في تثاقل:

– تصبحين على خير يا أميرة ألف ليلة وكل ليلة.

فابتسمت (بتيل) واحتضنت الرواية التي بين يديها في نشوة بالغة وكأنها طفلة تلقت هدايا ميلادها توًا: «يا الله! ليث ليس متزوجًا!» قالتها في فرحة وارتياح، لكن هذا الارتياح سرعان ما شابه شائبة قلق حينما تذكرت قول (عليا) بأنه يريده ثمارها عاليةً لم

يصل إليها أحد غيره.

وهل تُؤاخذ بذنب أنها قُطِف أول جمعها وتُحرَم منه وهي التي لا تنضب ثمار حبها ولا تجف بساتين حنانها؛ وإن وصفها الغادر (فيصل) من قبل بأنها أرض بور؛ فهي تعلم تمامًا أنها ثرية القلب وثيرة الصدر لديها ينابيع حب لم ولن تجف، بل تتجدد كلما أُخِذ منها تزيد.

استعاذت بالله من أراجيفها وسلمت أمرها لرب جميل لطيف ودود قريب، إذا أراد لقبين أن يجتمعا فلن يفرقهما شيء أبدًا، ثم قالت أذكار نومها وهي مرتاحة لاستعادتها ثقتها بنفسها عندما تذكرت أن الله معها وهو وحده سيعطيها حتى ترضى.

الصفعة المفِيقة

كان يومًا جميلًا يلوح بقدوم الربيع، وانتهاء الشتاء، ورائحة الزهور تداعب الحواس بخفة من حديقة المنزل المُنمَّقَة فينشرح القلب ويصفو الذهن وتتجدد الطاقة في انسجام ولطف ورقة.

فتحت بتيل عينيها تتأمل بديع خلق الله وتستنشق أكبر جرعة من الأمل من هواء الفجر الذي يتنفس بفرص جديدة ومعبأ بالتجدد والانتعاش ويحمل مع نسماته رائحة الجمال، فتتخلله خيوط الشمس في دلال وتُقبّله في ود فتلقي على الكون تحية السلام وتبث في أرجائه دفء المحبة والتآلف والوئام.

– بتيل، ماذا تفعلين عندك؟

– أبدًا يا عليا. أُمتّع الروح بالتفكر في بديع صنع الله.

– فعلًا، فكما قال الحسن البصري –رضوان ربي عليه–: «تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة»، واليوم كأنه عروس لبست أحلى حُليها واكتست بثوب أخضر من سندس واستبرق، ولكن مع الأسف لن أستطيع الوقوف معك كثيرًا فأمامي فقط ربع ساعة، ثم أكون بعدها في طريقي للمطار.

– المطار؟ لماذا؟

– حتى أعرض آخر أبحاثي على البروفيسور الإيراني...

– إيراني؟

– وما الغريب؟ الرجل من معارضي فكر الخميني وإن لم يجهر بذلك، ومؤمن جدًّا بفكرة جسد الأمة الواحد وضد أي تحزب أو تشرذم، ويحلم مثلي بمشروع نووي دفاعي واحد، وهو ما جعله يعقد اجتماعًا طارئًا من أجلي اليوم.

– جميل، ما شاء الله، رائع، وفقّك الله، ولكن... لكن...

– لا تخافي، سأعود الليلة بإذن الله، ولن تبيتي وحدك.

– إذًا، تستحقين ما أعددته لك من فطير (مشلتت) ومربى

الفراولة اللذيذة والذي لن تجدي مثيله أبدًا وإن تفنن في صُنعه أكبر المصانع، فمربى يدي لا يُعلى عليه. والمفاجأة لن تتخيلي ماذا صنعت هذا الأسبوع؟ ومع ذلك طاب ولذ طعمه.

– ماذا؟ لا تقولي صنعت (مِش)!

– نعم، وعلى الطريقة الصعيدية وغارق في الشطة السوداني.

– يا الله، أنتِ رائعة حقًّا، متى فعلتِ كل هذا؟

– استيقظت قبيل الفجر، صليت القيام، ثم الفجر، ووجدت مُتسَعًا من الوقت فصنعت المربى والثلاث فطائر، وكشفت عن (المِش) فوجدته قد طاب ولذ وينتظر فمك الكريزي لتلتهب شفاهك به.

– سلام عليكما، أسعد الله صباحكما، ما هذا النشاط؟

– وعليك السلام، أخي، تعالى ستنبهر بفطور اليوم.

ذابت بتيل حياءً وردت في خجل ممزوج بابتسامة عذبة رقيقة:

– عليا؟!

كان رد ليث في دعابة:

– ماذا أعددتِ لنا يا (عليا)؟ استريا رب!

ضحك الجميع وأجابت (عليا):

– لست أنا هذه المرة وإنما (بيوتي) والله، وإن كان ولا بد فلنتصل بالإسعاف تحسبًا لأي خسائر في الأرواح.

ضحكوا وبادر (ليث) قائلًا:

– لا، طالما من (بتيل) فأكيد سيكون من أشهى ما يكون.

– طبعًا، ومن يشهد للجميلة غير الوحش؟

فضحكت (بتيل) ضحكةً صافيةً عاليةً لأول مرة سلبت معها لُب (ليث) وود لو كانت في هذا اللحظة زوجته؛ فيحتضنها ويدور بها كراقص صوفي قد هام حبًّا؛ لا يكف عن الدوران حتى يقعا معًا فيمتزجا في قُبلة تسكرهما من غير خمر لا يفيقان منها دهرًا.

أفاق (ليث) توه على صوت (عليا):

– هل لمجرد أن سمعت بأن الفطور من يد الجميلة أُغمِيَ عليك، ولم تعد تسمعنا؛ فكيف سيكون حالك إذا ما ذقته؟

ضحك (ليث) وابتسمت (بتيل) في خجل واحمرّ وجهها وأضاء بخفر أنثوي راقٍ رقيق، ثم التفت ليث مجددًا إلى (عليا) وسألها في دعابة:

– لكن أخبريني، إلى أين أنت مبكرة بهذه الأناقة؟

ردت (عليا) وبوجهها ابتسامة ثقة ودلال:

– بالنسبة للأناقة فهذه عادتي وليس بجديد عليَّ...

ثم أخفضت من صوتها وكأنها تريده ألا يسمع بقية الإجابة:

– ... وذاهبة إلى إيران.

فرد عليها (ليث) في استنكار واندهاش وتعجب يوحي بغضب مكتوم:

– إيران؟!

ردت (عليا) وهي تزدرد بعض لقيمات من (الفطير) والمُربى وكأنها لا تهتم لتعجب أخيها واندهاشه:

– نعم، أراكم ليلًا.

وقبل أن يأتي تعقيب (ليث) كانت قد أغلقت باب الحديقة وانطلقت بسيارتها باتجاه المطار.

نظرت (بتيل) في خجل إلى الأرض والتفت بعينها النجلاوتين في أرجاء الحديقة، فلم يعد غيرهما في البيت، فلمح (ليث) في نظراتها الارتباك والتوتر والحياء؛ فقال لها:

– ما رأيك في نزهة بمصاحبة أحد أصدقائي وأخته؟

ردت في هدوء حييّ:

– لا بأس.

– إذًا فلتستعدي، سأصعد لأجهز نفسي وأتصل بصديقي أتعجله، فلا تجعليني أنتظر.

– حسنًا.

جاء ردها وهي تبتسم حياءً ووجنتاها تزداد احمرارًا كأنهما تفاحتان حان قطافهما.

غابت (بتيل) قليلًا مما أجج شوق (ليث) وهو تقريبًا لم ينزل عينه من اتجاه باب البيت عساها تخرج، وما كان غيابها سوى أقل من ربع الساعة، ومع ذلك لم يتمالك أعصابه؛ إلا وهو يكتب رقم هاتفها المحمول ويضغط على الاتصال ليأتيه صوتها في رقة ونعومة:

– أهلًا (ليث)، أعتذر لو كنت تأخرت قليلًا، حالًا سأنزل، إن شاء الله.

– بل تأخرتِ كثيرًا يا (بتيل).

– هي فقط خمس عشرة دقيقة.

– مرت عليَّ وكأنها خمس عشرة سنةً؛ أرجوكِ عِديني ألا تغيبي عني ثانيةً.

خفق قلبها بشدّة للدرجة التي ازدادت سخونة وجنتيها، وارتعشت يدها وكاد الهاتف يسقط منها. ثم جاء صوتها أخيرًا في تلعثم وحياء:

– حالًا أكون معك.

– بل دومًا إن شاء الله؛ ستكونين معي دومًا.

نزلت (بتيل) وهي ترتدي فستانًا غايةً في الأناقة والحشمة كعادتها؛ فستان من قطعتين: القطعة العليا عبارة عن سُترة قصيرة (جاكيت صغير) لونها أسود وعلى شمالها من أعلى زهرة قرنفل صغيرة لونها أحمر، بينما الفستان لونه أحمر قرنفلي، وغطاء رأسها أحمر ومن تحته غطاء أصغر لونه أسود، وترتدي حذاءً ذا كعب عالٍ لونه أسود، وبيدها حقيبة يد صغيرة سوداء وبها وردة صغيرة جدًّا على شكل زهرة القرنفل لونها أحمر.

وما إن رآها (ليث) حتى لمعت عيناه وابتسم في انبهار تمازجه محاولة لغض البصر ومقاومة لإطلاقه، ولكن لسانه انطلق بلهجة سورية:

– ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ طالعة بتاخدي العقل، الله يحميكِ.

احمرّ وجهها خجلًا، وركبت سيارته بعد أن فتح لها الباب،

لتجد فيها أخت صديقه في المقعد الخلفي بجوارها، وكان صديقه إلى جواره، فألقت عليهما التحية في حياء ورقة ورُقي، ثم تعرفت بأخت صديقه وعلمت أنهما جيران لهم أيضًا.

وصلت السيارة إلى (القصباء): ذلك المكان الساحر التي ترتاح له (بتيل) وتعشقه روحها.

جلسوا جميعًا في مقهى على ضفاف الماء، وطلب هو قهوته، بينما طلب صديقه (منذر) شايًا، وطلبت هي وصديقتها الجديدة (ميس) مثلجات كريمية اختارت هي نكهتي الفانيلا والشكولاتة واختارت (ميس) نكهتي الفستق والحليب.

ثم سألت (ميس):

– أين (عليا) لماذا لم تأتِ؟

فرد (ليث) في امتعاض:

– ذهبت إلى إيران، لم تكف أبدًا عن معاندتي وعصياني.

فقال (منذر):

– ولمَ الغضب؟

فقال (ليث) في غضب أشد وتعجب:

– لمَ الغضب؟ أتذهب إلى أرض هؤلاء الكفار الأنجاس.

فرد (منذر) في هدوء:

– أخي، الشيعة فِرَق؛ كما أن هناك أهل سُنّة بإيران.

فاستأنف (ليث) قائلًا:

– لكن. الخمينيين أكثر، وهم يطلقون مدافعهم وقنابلهم المحرمة دوليًّا وغازاتهم في سوريا، عمومًا لا عجب من تصرفاتها، فشقها المصري يغلب عليها.

هنا صُدِمت (بتيل) وقالت في حزن ممزوج بغضب واستياء:

– وما دخل مصر بصراعاتكم؟

انتبه (ليث) لخطئه فقال متلعثمًا ومعتذرًا:

– أعتذر منكِ، فلم أقصد السوء، ولكن قصدت عِنادها، فلقد ورثت العناد المصري.

فقالت (بتيل):

– لا؛ لم تقصد عنادها، بل قصدت شعبًا ما كان أبدًا إلا شقيقًا لكم، وكان عونًا، شعبًا ذاق ويلات الحروب، وكفر بها وكرهها، أنتم ومثلكم الكثير، التقموا طُعم الصهاينة لإشعال الفتن بحجة الثورة على الظُلم، فما ربحتم إلا قتلًا وتحريقًا وموت أبرياء لم يكن لهم ناقة ولا جمل في

صراعكم...

تظنون أن تغيير الحُكّام والثورة عليهم، سيقضي على الفساد والفاسدين وسيحقق العدل؛ فتستبدلون من تظنونه فرعون بهامان غيره؛ هل ذبح صدام صُبيحة الأضحى حقق بالعراق عدلًا؟ هل قتل السادات جاء بمن هو خير ثوابًا وأقرب رحمًا؟

هل ثورتكم حققت الرخاء والاستقرار للأطفال وحققت الأمن للنساء وعمّ الخير بلادكم؟ هل أصبحت أمتنا أفضل حالًا بعد ثورة ليبيا واليمن ومصر؟ هل شبع أطفال الصومال وهدأ روع أطفال بورما بعد تقسيم السودان؟

هنا تدخل (منذر) مثنيًا على كلام (بتيل):

– هل الثورات حققت للأمة وحدةً؟ وهل عدنا جسدًا واحدًا يا صديقي بعدما أشعلنا بأيدينا تنورًا للفتن؛ فانطلقت نيرانه تلتهم جسد أمتنا جزءًا جزءًا، ليعلن عما قريب أعداؤنا شرق أوسط جديدًا بعدما حققنا نبوءة (كوندليزا رايس) حين قالت صادقةً وهي الكذوب: «ستكون فوضى ممنهجة وسيكون شرق أوسط جديد.»

رد (ليث) بنبرة أقل حدّة من ذي قبل:

– لكن؛ ما رأيكم؟ ما الذي كان بيد شعوبنا أمام جشع وطمع وظلم واستبداد حُكّامهم؟

ردت (بتيل):

– كان لا بد من ثورة على النفس تستحثها على التغيير نحو الأفضل؛ وليس مجرد شعارات نُطلقها ونرددها في حماسة بدون تطبيق؛ فكلنا يتمنى أن تُطبق الشريعة في بلادنا بدلًا من قوانين وضعية من البشر؛ فرب البشر أعلم بما ينفعهم منهم، ولكن!

هل طبقنا شرع الله في معاملاتنا؛ فكما قال النبي صلوات ربي وسلامه عليه: «الدين المعاملة»؟ هل أصبحنا بشوشي الوجه أمام غيرنا ولا نغشهم ولا نخدعهم؟ هل أضحينا نضحي ونؤثر غيرنا على أنفسنا ولو كان بنا خصاصة؟

هل سلم غيرنا من لساننا ويدنا؟ هل كففنا عن أكل لحوم العباد؟ هل بتنا ننام وجيراننا شبعى لأننا اقتسمنا معهم عشاءنا؟ هل كف الأب عن الكذب أمام أبنائه؟ هل شرح المعلمون بضمير وحُب ووعي لطلابنا في المدارس كما يفعلون في الدروس الخاصة؟

هل كفت كثير من الفتيات عن مخادنة الشباب من وراء

أهلهن، وكفت النساء عن الخيانة بالغيب وكن قانتات سائحات عابدات؟ هل كفّ الفلاح عن رشّ حقله وثماره بهرمونات مسرطنة لينضج محصوله قبل أوانه فيطعمنا سُمًّا؟

هل كفّ الشباب عن التحرش بالفتيات على قارعة الطرقات واستقاموا على الطريقة وانتهوا عن سب بعضهم البعض بالأب والأم؟ هل كفّ الموظفون عن العبوس في وجه المنتفعين وانتهوا عن أكل أموال الناس بالباطل؟ هل وصل الأخ رحمه وأعطى أخته حقها في ميراث أبيها من دون محاكم ولا شجار؟

هل، وهل، وهل، وهل؟ أم أن الشريعة اقتصرت فقط في قطعة قماش تغطي الوجه وتقصُر من جلباب آخر؟

ببساطة نحن نحتاج ثورة أخلاق أولًا. سيولي الله علينا حينها خيارنا فمن أعمالنا سُلِّط علينا عزيزي. وكما قال رب العزة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾، فقبل أن نطالب بتغيير الحكام علينا أن نغير من أنفسنا.

رد ليث في تلعثم:

– لكننا نثور من أجل أطفالنا!

فرد عليه (مُنذر):

– وأين هم أطفالنا يا رفيقي؟ أطفالنا الذين سُحِقت طفولتهم تحت ركام منازلهم وحطام عظام أمهاتهم ورفات دماهم وألعابهم؟ ولداننا يا عزيزي أصبحوا شيبًا من هول ما لاقوا من أبناء وطنهم ومن بشاعة غُزاتهم.

وأخيرًا جاء صوت (ميس) محاولًا تلطيف الأجواء فقالت في نعومة ورقة:

– ما رأيكم لو ركبنا (التلفريك) لنرى القصباء من فوق؟

حبّذ الجميع الفكرة ورأوها فرصةً للخروج من لظى الخلاف.

شعر الجميع بالسعادة، والدفء رغم لسعة البرد الخفيفة، فبالرغم من الاختلاف في وجهات النظر، لكنه لم يؤد لخلاف، فاختلافهم كان من منبع واحد وهو حبهم لأمّتهم وغيرتهم عليها.

الغيرة خاتم الزواج

عاد (ليث) و(بتيل) إلى المنزل فوجداه مُضاءً؛ فعلما أن (عليا) قد عادت.

فنظرت (بتيل) إلى (ميس) ولوّحت لها بيدها لتودعها، ثم صعدت سُلم المنزل الصغير المفضي للحديقة، فجاءها نداء (ليث):

– أستاذة (بتيل) أنا آسف.

– وعلام الأسف؟

– على ما قلته اليوم دون قصد؛ فما قصدت أبدًا جرحك، ولا إهانة أشقائنا في مصر؛ فمصر أم العرب ولها عليَّ حق

كبيرويعلم ربِي كم أعشقها.

– وهي أيضًا تُحبك، وأنا لم أحزن مطلقًا من كلامك ولم أتضايق، فأنا أعذرك (ليث) وأعلم جيدًا ما تمر به ويمر به جسد أمتنا بأكمله، ولولا قسوة ظروف وطنك ما جاء كلامك قاسيًا، ثم أنت قلت إن مصر أم العرب، والأم لا تكره أبناءها مهما فعلوا.

ابتسم (ليث) ولمعت عيناه وقال لها في دفء:

– أنت فعلًا رائعة!

– إذا كنت تراني كذلك فعلًا، فهيا لتصالح (عليا).

– لكن نحن لسنا متخاصمين.

قالت (بتيل) في رقة وود وتضيء وجهها ابتسامة استعطاف:

– إذًا، تعالى واعطها هذه الهدية، وقل لها أنك قد ابتعتها لها اليوم.

فابتسم (ليث) وعيناه ترسلان كل معاني الحب وتكاد تنطقان بما يكنه القلب:

– لأجلك، سأفعل.

فاتسعت ابتسامة بتيل وقالت:

- بل لأجل صلة الرحم.

وعندما دخلا البيت وأمام شاشة التلفاز كانت (عليا) تجلس وتأكل بعض الفُشار في هدوء غريب وكأنها سارحةً بملكوتٍ آخر ولم تشعر بدخول (ليث) و(بتيل).

فاجأها (ليث) وأغمض عينيها بكفيه، فضحكت ولفت يده لتقربها من فمها، فطبعت على ظهرهما قُبلةً حانيةً، فقال لها ممازحًا:

- ما كُل هذا الرضا؟

- ومنذ متى ولم أرض عن أخي الوحيد وقرة عيني من هذه الدنيا ومن يخرج روحي بها أيضًا.

- هه، طول عمرك وأنت تجيدين الضحك عليَّ، وعمومًا لقد اشترت (بتيل) لك هذه الهدية، وأنا تبرعت وسأقدمها لكِ.

خطفت (عليا) الهدية من يده كطفلة صغيرة، استلمت حلوى الشكولاتة حالًا من والدها، وراحت تفتحها في سرور بريء، ثم صرخت بصوتٍ طفولي:

- الله! إنه دبٌّ وردي وبيده زجاجة عطر فرنسي (باريس هيلتون): عطري المفضل. أعشقكِ يا (بيوتي)، تؤبرني

(ليوو)، ربي ما يحرمني منكما أبدًا.

وبينما كانت تصرخ (عليا) في طفولية ويضحك (ليث) أخرجت (بتيل) كتابًا من حقيبتها يحمل عنوان (أيها السادة اخلعوا الأقنعة) وأهدته لـ(ليث)، فطار فرحًا به ثمّ قبّله بعينه وإن لم تُقبّله شفتاه، وصعد لغرفته وهو يحتضنه؛ فهذه أول هدية له منها، ولم يغمض له جفن إلا بعد أن أتم قراءته لدرجة أنه نام والكتاب يتوسد صدره.

نام (ليث) إلى أن شعر بأذان الفجر يوقظه من غفوته، فوجد نفسه يقول لنفسه: «لا بد من ثورة على النفس أولًا، ولا بد من التئام الجرح الغائر بجسد أمتي، وذلك حقًّا لن يحدث إلا أن يتداعى كل أعضائه بالسهر والحمى والتكاتف ليسترد الجسد كامل عافيته.»

توضأ، وذهب ليصلي في المسجد، فإذ بـ(مُنذر) يستوقفه بعد الصلاة وعلى وجهه التردد وكأنه يريد أن يخبره بأمر لكنه يستحي، بعد لحظات صمت أخيرًا نطق قائلًا:

– (ليث)، لقد سألت أختي عن الأستاذة (بتيل) وعلمت منها بعضًا من ظروفها، وإنني كما تعلم وحيد منذ ماتت (شادن) زوجتي وتركت لي ابنتي الوحيدة (إليف)، وإنني طوال الفترة السابقة لم أفكر في أن آتي لها بزوجة أب...

... لكنني بعد أن رأيت الأستاذة (بتيل) وعلمت أنها لا تنجب، واستشعرت كمية الحنان المتدفق مع كل نظرة وكل كلمة تنطق بها وددت لو أنها كانت أمًّا بديلةً لابنتي وكانت ابنتي بنتًا لها، فتشاركني حياتي...

وأنت تعرف أنني مهندس بترول بفضل الله ناجح ومستقبلي مشرق ورفيقك وجارك وتعلم عن أخلاقي ما لا يعلمه غيرك منذ جئنا من دمشق الياسمين سويًّا، فما رأيك يا (ليث)؟

صُعِق (ليث) وصُدِم صدمةً أذهلته حتى عن الرد، فاستأنف (مُنذر) كلامه وكرر على (ليث) وكأنه لم يسمعه:

– ما رأيك (ليث)؟

فرد (ليث) في شرود ممزوج بغضب:

– وما أهمية رأيي؛ المهم رأيها هي يا (منذر).

قال (منذر) متلهفًا:

– إذًا؛ ستحدثها، أليس ذلك؟ أنا واثق من أنها لن ترفضني.

رد (ليث) في غيظ مكتوم وحنق:

– ومن أين لك بكل هذه الثقة؟ هل تحدثت معها في شيء؟

– لا! ولكن، لماذا سترفضني وأنا مناسب لها، ففي كنفي

ستجد الأمان، والمرأة حينما تعشق تبحث عن الأمان يا رفيق، معي ستجد الصدر الحنون الذي يحتوي ضعفها وتسكن إليه روحها، ويأوي إليه فكرها ليستريح.

رد (ليث) بعد أن أوشك أن ينفجر غيظًا وخشي أن يظهر ذلك الغيظ فيُفتَضح أمره، مع أن عينيه فتشت كل سره ونمت بما يخفيه قلبه:

– الله المستعان يا (منذر)، الله بيفرجها، بخاطرك.

دخل (ليث) المنزل مشتاطًا ووجوه أصبح مسودًّا وهو كظيم، وأدار المفتاح وكأنه لا يريد أن يديره، فانتبهت (بتيل) لقدومه، وأنه اندفع نحو سلم الطابق العلوي متجهًا لغرفته دون أن يلقي عليها تحية الصباح كعادته، فنادته وهي تصطنع ابتسامةً وراءها علامات استفهام عدّة:

– (ليث)؟ الفطور جاهز!

رد عليها وهو لا يريد أن يريها وجهه:

– تفضلا أنتما؛ فليس لدي شهية.

جاءت (عليا) من خلف (بتيل) مستغربةً وقالت:

– ما بك؟

قال (ليث):

– لا شيء، قلت لا شيء، فقط أريد أن أرتاح قليلًا، فهل لديكِ مانع؟

ردت (عليا) في حزن:

– لا، أبدًا، أعتذر عن إزعاجك أخي، تفضل.

التفت (ليث) وعيناه تحملان عتابًا يتجه صوب (بتيل) وقال:

– أعتذر (عليا) ولكني –عن جد– مُتعَب جدًّا، وسأصعد لأستريح فلم أنم منذ الأمس.

استغربت (بتيل) في حزن، خاصةً وإنها قد أعدت أصناف الطعام التي يحبها كلها وانتظرته كطفلة تسترق السمع لمفتاح أبيها يدور بالباب معلنًا عن قدومه.

فربتت (عليا) على كتفها في حنان، وقد شعرت بها، ثم قالت:

– لا عليكِ (بتيل) يبدو أن هناك أمرًا ما، وأمرًا عظيمًا جعل أخي في هذه الحالة السيئة. سأصعد لأستقصي الأمر.

ابتسمت (بتيل) في حزنٍ ممزوج بامتنان واحتضنت (عليا) وكأنها ولأول مرة منذ أن أتت أرادت أن تبكي في حضنها، لولا أنها تماسكت واحتبست دمعها، بينما صعدت (عليا) بالفعل وراء (ليث)، ثم

طرقت باب غرفته في هدوء ونادت بصوت هادئ ممزوج بحنية:

– (ليث) هل يمكنني الدخول أخي؟

– تفضلي.

– ما بك يا حبيب أختك؟ هل تخبئ على (عليا) رفيقتك وأختك وصديقتك؟

– أبدًا، مرهق.

– لا، ليست قصة إرهاق، فيك شيء غريب؟ معقول تخبي عليَّ وأنا سرك؟

– (مُنذر) طلب يد (بتيل) للزواج اليوم.

– ماذا؟ وبماذا أجبته؟

– وبماذا أجيبه والرأي ليس رأيي؟

– (ليث) أنت تحب (بتيل) أليس كذلك؟ وهي أيضًا – لعلمك– تحبك، فلمَ لا تتزوجان؟

– تُحبني؟! هل قالت لكِ ذلك (عليا) بالله عليكِ؟

– لا، لم تقلها صراحةً؛ لكنني امرأة ولا يفهم المرأة إلا امرأة مثلها، و(بتيل) من البراءة ما يكفي لتخبر عيناها بمكنون حبها العميق لك.

– وماذا أفعل وقد جاء (مُنذر) لخطبتها وقد سبقني والمسلم لا يخطب على خطبة أخيه؟

– دع الأمر لي إذًا.

نزلت (عليا) الدرج مسرعة، ودخلت على (بتيل) وقالت لها:

– قد جاءك عريس اليوم وطلب يدك من (ليث) فلتفرحي يا عروس ولتسعدي.

عبس وجه (بتيل) وتولى في حنق:

– (عليا)! أرجوك كفاك هزارًا!

– والله أتحدث معك بجد، فقد طلب جارنا (منذر) يدك من (ليث) وكما تعلمين (منذر) مهندس بترول ناجح وله مستقبل مشرق في الإمارات و...

قاطعتها بتيل في غضب:

– وإن كان وزيرًا للبترول الإماراتي بل العربي؛ أنا لن أتزوج، ثم قولي لي وماذا كان رأي الدكتور(ليث) عليه إذًا؟ هل وافق هكذا دون أن يعرف رأيي؟

– ومن قال أن (ليث) قد وافق يا بيوتي الجميلة؟ ألم تري وجهه وتغيره؟ ثم أنت تقولين أنك لن تتزوجي، فهل أيضًا لو

تقدم (ليث) لخطبتك سترفضين؟

تلعثمت بتيل حياءً وحاولت أن تخفي ابتسامة أبت إلا أن ترتسم على وجهها فتصبغ خديها بحمرة لذيذة وقالت في صوت ناعم منخفض:

– وهل طلب (ليث) يدي للزواج يا (عليا)؟

– هو يتمنى يا (بتيل) لكنه يخشى أن يخطب على خطبة (منذر).

– ومن قال أني وافقت على (منذر) هذا ليكون قد خطبني. أرجوكِ بلغيه أنني رفضت (منذر)، ولكن انتظري يا (عليا) هل علم (ليث) بأني أرض بوروشجرة لا تثمر؟

فما كان إلا أن سمعت من خلفهما صوتًا يشع الفرح منه ليضيء القلوب بهجةً:

– بل تقصدين أنك حدائق ذات بهجة وشجرة طيبة تظلل على كل من يعرفها بحبها ولطفها.

ثم قال وهو يجلس على ركبته:

– مولاتي (بتيل)، هل تقبلين الزواج مني؟

اشتد احمرار وجه بتيل ونظرت في حياء ممزوج بفرحة تلمع

بعينيها، ثم قالت بصوت بالكاد يُسمَع:

– وهل لرجل مثلك أن يُرفض يا دكتور؟

انطلقت من (عليا) زغرودة مصرية رنت في أرجاء المنزل وأعقبتها بأخرى على الطريقة السورية، فضحك الجميع وذابت (بتيل) خجلًا.

نهاية، ولكن!

في أكبر مساجد الشارقة عُقِد الزواج الميمون وسط مباركات الأصدقاء وتمنياتهم بحياة سعيدة هانئة، وطار العروسان بعدها إلى الإسكندرية ومرسى مطروح في أم الدنيا لقضاء ليالٍ عسل.

عادا بعدها للإمارات وهما في قمة سعادتهما واستقبلتهما (عليا) بمزيد من الزغاريد ومباركات من هنا وتهنئات من هناك.

وبعد أسابيع قليلة شعرت (بتيل) بتعب شديد وعلى الفور ذهب بها ليث إلى المستشفى، وهناك كانت المفاجأة، حيث بُشِّر العروسان بحمل رحم (بتيل) بنطفة جميلة وبريئة من ليث تعلن

لهما عن تكون مولود جميل، فطارا من الفرح، واتصلت (بتيل) بقريبة لها في مصر لترسل لها حوالةً وتطلب منها أن تذبح عجلًا سمينًا وتفرقه على فقراء المسلمين والمسيحيين –على السواء– من الجيران والمحبين.

وبعد بضع شهور وبينما (بتيل) تحيك سترةً وبنطالًا للمولود السعيد ليلبسهما حين ينير الدنيا بقدومه إذ بها تقرأ خبرًا على شريط الأخبار بإحدى القنوات المصرية عن محاولة المليونير الشهير (فيصل خورشيد) الانتحار؛ فدخلت بتيل لتعرف تفاصيل الخبر على محرك البحث (جوجل) لتعرف أنه حاول الانتحار على إثر أزمة مالية شديدة أعقبتها أزمة صحية واجتماعية بعد أن رفعت زوجته ضده قضية طلاق للضرر، حيث أنه لا ينجب وحالته المالية والصحية في تدهور مستمر ومن سيء لأسوأ.

فما كان منها إلا أن قالت سبحانك ربي يا عز من قلت وقولك الحق: ﴿**إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ**﴾، فاللهم لا شماتة، اللهم إني أسألك العفو والعافية.

وبينما (بتيل) في شرودها إذ بليث يدخل فيغمض عينيها لتفتحهما بعد أن تطبع بداخلهما قُبلةً حانيةً وعلى ظاهرهما أيضًا، فيُقبِّل هو وجنتيها وبطنها ويقول ويده تمسح على ظاهر بطنها: «**متى تجيء إلى الدنيا أيها البطل، فالأمة تشتاق لمحررٍ للأقصى وسراجًا**

للعقول، وأسأل الله أن تكون عالمًا ومحاربًا في جيش المسلمين ضد الصهاينة المغتصبين وتعيد للأمة مجدها وعزها وعلمها وريادتها.»

فتبتسم بتيل وتقول له: **«هو يعي كل حرف تقوله له وتقريبًا حفظه عن ظهر قلب من كثرة ما أردده أنا أيضًا عليه.»**

فجأةً يضيء هاتف (ليث) مُعلنًا عن رسالة جديدة هدمت لذّة اللحظة وفرّقت جمع المشاعر؛ فالرسالة لم تكن بعد طول تلك الشهور إلا رسالةً من القيادة الداعشية.

فيا ترى هل يستجيب ليث لرسالتهم، أم سيتخدم حكمته وعلمه ولباقته في أن قراره بالبعد عنهم لا رجعة فيه؟ وهل سيتركونه فعلًا يبتعد عنهم؟

فصول الرواية

طلب إضافة...7
حيرة وحزن 13
ليث في الغابة الزرقاء 21
لقاء دون موعد.. 29
لقاء على اشتياق 41
فسحة في القلب... 45
الصفعة المفِيقة.. 65
الغيرة خاتم الزواج 79
نهاية، ولكن!.. 91
فصول الرواية 95